الجميع . كان اليهودي المهاجر يعتبر نفسه عضوا من « الجنس المختار » في حين أن العربي كان يجد نفسه في « وضع أدنى بالنسبة اليه » . وكانت فلسطين توصف بأنها صحراء وكان الشعار الذي كان الجهاز الايديولوجي الصهيوني يطلقه هو : **أرض بلا شعب** لشعب بلا أرض .

وبعد انشاء دولة اسرائيل استمرت الايديولوجية في تقديم الاسرائيليين ك « رواد » و« عمال » و« ديمقراطيين » وأناس منفتحين على « الحوار » و« عشاق سلام » و« مزارعين » يدافعون عن أنفسهم . وبالمقابل كان الفلسطينيون يوصفون «بالخياليين» و« الارهابيين » و« التنابل » و« الكسالى » و« المعتدين » . ان الصحافة البورجوازية تتناقل هذه التحديدات الخيالية للاطراف المعنية المتواجهة وتجعل الرأي العام الغربي يقبلها على نطاق واسع .

٢ ــ ان الايديولوجية الصهيونية تؤدي الى اضفاء الشرعية على العلاقات الاجتماعية بتحديدها للظروف العملية للعلاقات بين العناصر الفاعلة المعنية . وبهذا الصدد من المناسب ذكر نص من وثيقة صادرة عن الاشتراكيين الاسرائيليين : « عندما بدأت الهجرة الصهيونية المنظمة تصب في فلسطين في بداية هذا القرن لم يعد بالامكان تجاهل الواقع **المذهل** وهو أن البلاد كانت آهلة بالسكان . وككل مجتمع مستعمر (بكسر الميم) فقد كان على المستوطنين الصهاينة ان يخطوا لهم سياسة محددة تجاه السكان المحليين ... لم تكن الصهيونية ترغب فقط في الاستيلاء على موارد فلسطين بل كانت تريد أيضا الاستيلاء على البلاد بالذات ، هذه البلاد التي استخدمت لانشاء دولة قومية جديدة . لقد كان مقدرا أن يكون لهذه الامة الجديدة طبقاتها الاجتماعية الخاصة بما فيها الطبقة العمالية وبالتالي فان العرب لم يكونوا هدف الاستغلال بل كان عليهم **ان يزاحوا** كلية » . كان شعار « عمل يهودي ــ انتاج يهودي » موجها لتغطية أعمال استغلال واقتلاع السكان العرب من فلسطين . انطلاقا من هذا الواقع ، فان العلاقات بين الاطراف الفاعلة كانت علاقات **اغتصاب سياسي** (لان المستعمرين الصهاينة احتكروا كل سلطة لاتخاذ القرارات السياسية) **واقتصادي** (لان العرب أخرجوا بكل بساطة من الدورة الاقتصادية اليهودية باسم شعارات تبريرية) **وثقافي** (لان المستعمرين فرضوا قيمهم وتصوراتهم الخاصة على تفكير كل السكان) .

وبعد انشاء دولة اسرائيل وطرد مليونين من الفلسطينيين من منازلهم والابقاء على مليون ثالث تحت الاحتلال انقلبت الايديولوجية الصهيونية الى ايديولوجية « اليد المحدودة » و« التفاوض » و« المشاورات » و« الحوار » .

وتقدم الايديولوجية الامبريالية المسيطرة في هذه المناورة دعما ايديولوجيا قويا الى اسرائيل . ذلك أن الزمن الذي كانت ترفع فيه القيم المطلقة كالحضارة المسيحية أو الغربية قد ولى تقريبا . لقد جاء الآن زمن التفاوض و« التعايش السلمي » . ان هذا من آثار الايديولوجية المسيطرة التي تنفي التناقضات او التعارضات وتتصور ان صراع الطبقات ناتج عن **سوء تفاهم** وقابل للحل عن طريق **التسوية** .

ان كل « تفاوض » يرمي في الواقع الى طمس عدم المساواة الحقيقية في ميزان القوى بين الاطراف المتواجدة . انه يفترض الابقاء على الامبريالية المتمثلة في فلسطين بالاستيطان الصهيوني المميز كما يفترض أيضا استمرار البورجوازية في الاحتفاظ بسلطتها مع تجنب عدم تجاوز الخط الذي قد يؤدي الى قيام الطبقة المسحوقة (وهي هنا في فلسطين غالبية الشعب الفلسطيني الذي انتزعت منه كل سلطة على اتخاذ القرارات السياسية والاقتصادية) بردود فعل خطرة . ان التفاوض ، اذا نظر اليه من هذه الزاوية ، هو